

نشأة وتطور مفهوم الاتصال وتعريفاته الأساسية

من الصعوبة ان نقرر وبالتحديد كيف ومتى برز الاهتمام بعلم الاتصال إذ ذكر بعض المؤرخين ان هنالك اهتماماً ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد في مخطوطات البابليين والفراعنة وفي ملحمة الإلياذة، حيث يعد اهتمام الأسلاف القدماء بالاتصال أمر طبيعي ، لذلك نرى الأديان منذ القدم تدعم أهمية الكلمة بصفقتها عملية الاتصال الأولى آنذاك .

فالاتصال جزء من الحياة الطبيعية للمجتمع الإنساني بدونه تنعدم أسباب الحياة الاجتماعية من أساسها وهذا الفهم هو الذي دفع الى وصف الإنسان بالمخلوق الاتصالي، فالإنسان ومنذ ولادته هو في اتصال دائم وبلا انقطاع مع ذاته والمحيطين به وبالعالم الأشياء والأحياء من حوله .

وينظر الي الاتصال على أنه أحد أشكال العلاقات بين الناس ومن خلاله تدور عملية نقل وتلقي الحقائق والآراء والأفكار والمعاني والمهارات والتجارب والأحاسيس والاتجاهات وطرق الأداء المختلفة من شخص إلى شخص ، ومن جماعة إلى جماعة ، ومن جيل إلى جيل

ولأن الهدف الأساس للاتصال هو المشاركة في الخبرة ، بحيث تصبح الأفكار والمعاني والتجارب مشتركة أو مشاعة بين أطراف العملية الاتصالية فإن الفضل الأكبر فيما حققته الإنسانية من تقدم على مر الزمن يعود الى الاتصال ، لأن التاريخ البشري سلسلة من عمليات انتقال الأفكار بين الأفراد والجماعات والأجيال .

وقد انعكست الصور والأشكال الأولى للاتصال في الإشارات والإيماءات والصياح وتعبير الوجه والدخان ، بعد ذلك تعلّم الإنسان الكلام وأصبح قادراً على نطق

الكلمات ، وبهذا تحولت عملية وطريقة الاتصال من شكلها الأول البدائي المتمثل بالإشارات والصياح إلى شكل أكثر تطوراً هو الكلام المفهوم أو المحاكاة بعد ذلك ، وعلى أساس تطور النشاطات الإنسانية بضوء تطور حضارته فقد تطورت عملية الاتصال من شكلها الشفوي إلى الشكل المكتوب نتيجة اختراع الإنسان للكتابة ومعرفته بها ، وقد استخدم الإنسان حينذاك الأدوات والوسائل المتاحة له لتسجيل معارفه وخبراته كالخشب والحجر والارقم الطينية والبردي وجلود الحيوانات ومن ثم الورق الذي اخترعه الصينيون إلى اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي والتي أحدثت ثورة في عالم الاتصال من حيث أشكال وأنواع وتعدد الرسائل الاتصالية .

ومع بداية القرن التاسع عشر شهدت الإنسانية تطورات هائلة في مجال الاتصال الجماهيري حيث ظهرت الصحف التي تخاطب الطبقات الشعبية وبعض الوسائل التي اسهمت في سرعة الاتصال مثل : التلغراف والتليفون والسينما والراديو والتلفزيون . وفي منتصف القرن العشرين واصلت تكنولوجيا الاتصال تدفقها بدخول الإنسان عصر المعلومات نتيجة المزج بين تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية وتكنولوجيا الأقمار الصناعية وظهرت وسائل جديدة مثل : الاتصالات الكيبلية والفديوتكس والتليتكس والقنوات الفضائية المباشرة والاتصال المباشر بشبكات المعلومات (الانترنت) .

اما عن مفهوم الاتصال فإن كلمة اتصال مشتقة من فعل وصل يصل وصلاً وصلة في العربية وهي تعني جمع ، وفي الفرنسية تعني كلمة اتصال (Communication) (مشاركة ، إعلام ، إطلاع ، تواصل ، وكلمة اتصال علاوة على كونها تعني نقل

الافكار والعواطف والمعلومات فهي تدل ايضاً على الطرق والسكك التي تربط مكان
باخر .

وقد تعددت المفاهيم التي طرحت لتحديد معنى الاتصال بتعدد المدارس العلمية
والفكرية للباحثين في هذا المجال ، ويتعدد الزوايا والجوانب التي يأخذها هؤلاء
الباحثون في الاعتبار عند النظر إلى هذه العملية .

حيث يُعرف الاتصال على انه (عملية نقل وتبادل المعلومات بين طرفين او اكثر
عبر وسيلة او وجهاً لوجه) .

كما يمكن تعريفه من منظور اجتماعي بانه (عملية اجتماعية إنمائية غايتها حصول
الفرد والجماعة على المعلومات والمعارف ، والإلمام بتجارب الآخرين ، وإيصال الآراء
والأفكار والتجارب بما يكفل خلق التواصل الاجتماعي) .

وان التعريف الأبسط والموجز للاتصال هو (اتصال بين شخصين أو أكثر وجهاً
من خلال الحواس أو عبر قناة صناعية أو رمزية أو عبر إنسان يعتبر طرفاً ثالثاً
ناقلاً لمضامين الاتصال بهدف نقل رسائل بمضامين متنوعة لتحقيق الاثر) .

والتعريف الأكثر شمولية للاتصال هو (عملية ربط مقصودة بين طرفين هما المرسل
والمستقبل وذلك لغرض تأدية وظيفة محددة في إطار النشاط الإنساني) .

وعلى أساس ما تقدم ومن خلال ما ورد في التعاريف المار ذكرها للاتصال نجد ان
التعريف بعملية الاتصال ينبغي أن يشمل أربع جوانب أساسية هي :

1- ان الاتصال عملية ديناميكية تتم فيها نقل المعاني والقيم والخبرات المشتركة .

2- اي عملية اتصال تعني وجود طرفي الاتصال المرسل والمستقبل .

3- للاتصال رسالة مضمونها المعلومات والآراء او المشاعر والاتجاهات .

4- للاتصال هدف ووظيفة .

5- قد يتم الاتصال عبر وسيلة او بدونها كما يحدث في الاتصال الشخصي .

ولابد من التوضيح انه في كثير من الاحيان يتم الخلط بين مفهومي (الاتصال) و (الاعلام) على انهما يشكلان مفهوماً مترادفاً ، الا ان كلاهما يختلف عن الاخر وان اتفقا في امور كثيرة .

فمفهوم الاتصال اوسع شمولية من مفهوم الاعلام ، بل ان الاعلام جزء من الاتصال ويقع في دائرته كشكل او وظيفة من وظائف الاتصال ، مثلما هو الحال في الاعلان والدعاية والعلاقات العامة .

والاعلام مشتق من اصل كلمة (علم) اي العلم بالشيء ومعرفته والاطلاع عليه ، ويمكن تعريفه على انه (تزويد الجمهور بالمعلومات الصحيحة والحقائق والايخبار الصدقة بهدف معاونتهم على تكوين الرأي السليم ازاء القضايا) .

ويوعز المختصين السبب الرئيسي الذي يقف وراء الخلط بين الاعلام والاتصال هو ان وسائل الاتصال الجماهيرية في نشأتها الاولى اهتمت بنشر الاخبار التي تعد عملية اعلامية ، ولهذا السبب اطلق الباحثون في الغرب مصطلح وسائل الاعلام على وسائل الاتصال الجماهيرية مثل (الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون) .